[ 34 ] بدير من أديار الاهواز، يسمى بنيسابور، فناصبه للقتال ستة أشهر كريتة (1)، لا له ولا عليه، حتى إذا كان في جوف ليلة من الليلى، خلا الحجاج بعنبسة بن سعيد بن العاص، ويزيد بن أبي مسلم، وعلي بن منقذ مولاه، وبعبد الرحمن بن زياد مولاه، وكان يزيد بن أبي مسلم حاجبه على ما وراء بابه وأما يحيى فوكله بالقيام خلف ظهره، إذا هو نسى أو غفل نخسه بمنخسه، ثم قال: اذكر ا يا حجاج، فيذكر ما بدا له أن يذكر. وأما عبد الرحمن ابن زياد: فكان ذا رأى ومشورة وأدب وفقه ونصيحة. أما عنبسة: فكان بعيد الهمة، طويل اللسان، بديه الجواب، فاصل الخطاب، موفق الرأي، فاستشارهم لما طال به وبعبد الرحمن القتال، لا يظفر واحد منهما بصاحبه - ومع عبد الرحمن سعيد بن جبير والشعبي، فكان هذا فقيه أهل الكوفة، وهذا فقيه أهل البصرة - في أن يبيته، فكره ذلك مواليه، وأشار عنبسة أن يبيته، فقال الحجاج: أصبت، أصاب ا بك الخير، وما الامر إلا النصيحة، والرأى شعوب، فمخطئ منها أو مصيب، غدا الاثنان، فصوموا ونصوم، واستعينوا ا بالخيرة، ونبيتهم الليلة المقبلة، ليلة الثلاثاء، فسوف أترجل، ويترجل أهل مودتي ونصيحتي، من ولدي وغيرهم. ففعل: وأصبح صائما، وبيتهم ليلة الثلاثاء وهو يقول: اللهم إن كان الحق لهم فلا تمتنا على الضلالة، وإن كان الحق لنا فانصرنا عليهم، فحمل عليهم والنيران توقد، فأصاب منهم، وأصيب منه، وانهزم ابن الاشعث في سواد الليل، وأصاب الحجاج عسكره، وأسر سعيد بن جبير، وأفلت عامر بن سعيد الشعبي مع ابن الاشعث، فلما أتى الحجاج بسعيد بن جبير، قال له: ويحك يا سعيد ! أما تستحيى مني ؟ ومدك الشيطان في طغيانك، ألا استحيت من المراقب لي ولك، والحافظ علي وعليك ؟ فقال: أصلح ا الامير، وأمتع به ! هي بلية وقعت، وعذاب نزل، والقول كما قال الامير، وكما نسبه به وأضافه إليه، إلا أني أتيت رجلا قد أزهى وطغى، ولبسته الفتنة، وركب الشيطان كتفيه، ونفث في صدره، وأملى على لسانه فخفته واتقيته بالذي فعلت ؟ فإن تعاقب فبذنب، وإن تعف فسجية منك. فقال له الحجاج: فإنا قد عفونا عنك، وسنردك إليه تارة أخرى. ثم كتب كتابا، ووجهه مع سعيد بن جبير إلى عبد الرحمن، فلما كان سعيد ببعض الطريق، خرق الكتاب. وقدم عبد الرحمن فأخبره، فنفر عبد الرحمن، وخرج موائلا إلى أهل البصرة، وقد قدمت عليه كتبهم، يستبطئونه ويستعجلونه حتى قدم عليهم، وبلغ ذلك الحجاج فسبقه إلى البصرة فدخل الحجاج المسجد متنكبا قوسا، فصعد المنبر، فحمد ا وأثنى عليه، وحرض الناس على قتال ابن

_____ (1) كريتة: كاملة. (*)

_____